اعلم بأن أول الواجب … أن تعرف الرب من المربوب
وأن المخلوق لها واحدا … ليس له في ملكه معاندا
يفعل فيه حكمه ما يشاء … وحكمه السراء والضراء

قلنا نص كلامه على أن أول الواجبات المعرفة وذلك يدل على القول
بوجوبها على الأعيان وذلك أمر مختلف فيه فذهب قوم إلى وجوب
المعرفة على الأعيان وذهب قوم إلى عدم وجوبها وأنه يكتفى فيه بالتقليد
في أصول التوحيد وادعى كل واحد منهما الإجماع على قوله ثم اختلف
القائلون بوجوبها فقيل الواجب نفسها وعزاه بعضهم للأشعري
وقيل النظر المؤدي إليها وهو ظاهر مذهب الأشعري وعزاه بعضهم
الأستاذ أبو منصور لأكثر الأصحاب وعليهما فلا يشترط في حصول
المعرفة أن تكون بطريقة المتكلمين قاله ابن رشد في أجوبته وكذا غيره
قال ولا يعتقد هذا الآن جاهل يعني أن ذلك أمر حادث لم يكن في الصدر
الأول بل يكتفي بدلالة وجود المخلوقات وحدوثها بعد أن لم تكن
على وجود خالقها ويستدل على قول مدعي الرسالة بوجود الخارق
على يديه موافقا لدعواه مع عجز المتحدي لهم عن المعارضة وقد
نبه تعالى على هذا المعنى بقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
إلى قوله تعالى لعلكم تعقلون بدلالة أول الآية على ثبات التوحيد ومعرفة
الله ودلالة آخرها أعني قوله تعالى إن كنتم في ريب الآية على تحقيق
صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما جاؤوا به **قال** العقباني والأنزاع
بين المتكلمين في عموم وجوب المعرفة بالدليل التفصيلي على الأعيان وأما

هو واجب على الكفاية **وقال** الشيخ ابن عرفة وظاهر نقل ابن رشد في
نوازله أنه بالدليل التفصيلي مندوب إليه لا فرض كفاية **قال**
الشيخ الإمام العالم الرباني أبو محمد بن أبي جمرة رضي الله عنه ونقل
التتائي عن شيخه السمنطاني أن القول بأن أول الواجبات الإيمان الجازم
واستدل له بحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وبغير
ذلك وهو مذهب الإمام الغزالي وغيره ولهم في ذلك منزع يطول
ذكره فانظره ومعنى الرب المالك على الإطلاق وهو الله سبحانه والمربوب
المملوك وهم المخلوقات ومعرفة ذلك بالدليل الصحيح فبالمخلوقات
يعرف الخالق كما أن بالمصنوعات يعرف الصانع **قيل** للأعرابي
بم عرفت ربك قال البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على
المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العزيز
القدير انتهى وهو عجيب **وقوله** وأن المخلوق لها واحدا
من تفاصيل معرفة الرب سبحانه لأن من صفاته الوحدانية فهو واحد
في ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يحل وواحد في صفاته لا يشبه
شيئا ولا يشبهه شيء وواحد في أفعاله ليس له نظير ولا معاند
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا قل لو كان معه آلهة
كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما
يقولون علوا كبيرا الآية ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان
له به **ومعنى** المعاند من يأتي بخلاف ما يأتي به ويبغضه ويضاده
ولا يصح ذلك لدلالة القاطع وهو مذكور في كل كتاب فلا يطول

Copyright © King Saud University